من أنماط التواصل اللغوي
(النمط الميسر)

أ.د. خالد نعيم الشناوي

لا شك أن القارئ العربي يلحظ أن اللغة العربية في بنيتها التركيبة الميسرة قد اقتفت شقيقاتها العروبيات في تركيب الجمل بوصفها انماطاً تواصلية بين أبنائها، والتراكيب في هذه الحال كانت (تسودها ظاهرة التوازي parataxis أي أن الجمل كانت قصيرة وترتبط الجملة بالأخرى عن طريق الواو، فهذه الجمل القصيرة تتوازى الواحدة بجانب الاخرى)[1]، ويبدو ان هذا الامر قد ترشح الى اللغات العروبية من اللغة العروبية الأولى التي لم تكن ذات جمل طويلة، بل الجملة كانت قصيرةً وهذا الامرُ موجود في الآكدية، والعبرية والعربية، ولكن الجملة فيما بعد اخذت حجما وشكلا اخر، ولا سيما في اللغة العربية، اذ اصبحت جملة طويلة ومعقدة، فالجملة العربية تعقدت مع تطور الفكر ورقيه تعقدا كبيرا، وعلى الرغم من ذلك لانعدم النمط الأول الذي اصطلحنا علية بالنمط الميسر، الذي يتكون من المسند والمسند اليه (الاسم +الاسم)و (الاسم والفعل) والنمط الثاني (الاسم +الفعل) هو الاساس في اللغات العروبية، بحيث يكون موقع الفعل في نهاية الجملة، وهو اهم مكون للجملة العروبية كونه يرتبط به الاسم او الضمير ارتباطا وثيقا. وتصنف اللغات العروبية الفعل الى صيغ عدة، ويطلق على هذه الصيغ الموجدة في العربية: المضارع والماضي والامر،

وهكذا حال الفعل في اللغات العروبية القديمة في الشام و الحبشة، ولكن اللغة الاكدية طورت لنفسها نظاما مخالفا الى حدٍ ما، ففيها الكثير من الصيغ الفعلية التي تعكس ظاهرة موروثة على نحو مباشر عن اللغة العروبية الام، لان الفعل في اللغات العروبية له زمنان الماضي او الحال او الاستقبال.، ويستثنى من ذلك اللغة الاكدية ففيها للفعل ثلاثة ازمنة هي زمن انتهى وزمن الحال و زمن ممتد مستمر. والزمن في العربية فيه نوع من التنوع وان كانت الصيغ الصرفية غير متنوعة، فالماضي يستعمل للتعبير عن الحاضر او المستقبل كجملة الشرط، والحال عينها في المضارع المنفي وزمن الماضي لم يكتب، والمضي المستمر، كان يكتب، ويتحدد معنى الصيغة المستعملة وفق بنية الجملة والقرائن اللفظية والمعنوية التي تحدد الزمن النحوي الى جانب دلالة الصيغة الصرفية، وبما أن اللغة العربية هي اللغة العروبية الوحيدة التي ما تزال مستعملة الى يومنا هذا، واحتيج إليها في ترجمة وفك بعض الرموز العروبية القديمة، نجدها هي من افصحت بشكلٍ واضحٍ عن تلك الانماط والظواهر الموروثة عن اللغة الام إنْ لم تكن هي عينها اللغة الام.

وعوداً على بدء، يمكننا أن نلاحظ استعمالات تلك الانماط المتوازية الميسرة في لغة العرب من خلال النَّظر في كتب اللغة التي جمعت لنا صور التنوع اللغوي والمتمثلة بلغة الاستعمال. يُقال أنّ الجملةَ العربيةَ المفردةِ لها اصل وضعٍ وهو نمطُها في الأساسِ وقد يُلحق به بعضُ العناصرِ اللغويةِ التي تُسمى بالفضلاتِ أو ما يُكمّل معناه[2]، والجملة بطبيعتها التركيبيةِ تركيبُ لفظيُّ إسنادي مجاله التأليف بين عنصرين لغويين، وقد عُني القدماءُ من النحويين[3]، بدراسة اقسام الكلام، بحسب الإنموذج الاستعمالي الذي صدر عن العرب، لأنَّ الدراسة في هذه الحال تسعى لمعرفةِ أحواله المتنقلةِ

---

1)R.Meyer,Hebraische,Grammatik,!,s,22. نقلاً عن علم اللغة العربية : ١٤٧

٢) يُنظر: الاصول دراسة بستيمولوجية : ١٣٨

٣) يُنظر سيبويه في الكتاب : ١ : ٤٨، و ابن السراج في الاصول في النحو: ٢ : ٢٨٧، وابن يعيش في شرح المفصل : ١ : ٢٠، وابن جني في الخصائص : ١ : ٨ ، ١ : ١٣٢، والزمخشري في شرح المفصل : ١ : ٢٠،وابن هشام في مغني اللبيب : ٢ : ٣٧٤

لدى مستعلي اللغةِ، والقارئُ لِما دُوِنَ في التراثِ اللغويّ العربيّ ولاسيما عند الأوائل من النحويين، يلحظ أن الدرس اللغوي، بُدئَ بمعرفةِ النحوِ ثمَّ جيءَ بالصرفِ بعدُ ليكونَ الارتياضُ في النحوِ مُوَطّئاً للدخولِ فيهِ، أو مُعيناً على معرفةِ أعراضه ومعانيه وعلى تصرفِ الحالِ[٤]، لأنَّ الدراسة النحوية تُعنى باللفظة المنسوجة مع جملة من الكلمات أو الالفاظ في تركيب جملي إسنادي، وهذا التركيب ما هو الا رموزٌ لغويةٌ تحمل دلالة مطابقة لما هو كائن في الذهن، إذ يتم ذلك عن طريق ربط الصورة الذهنية المفردة بعضها ببعضٍ على نحو تحقق معه صلة ونسبة بين هذه الصور، وإذا ما أردنا أنَّ نعبر عن ذلك أو نقله الى ذهن السامع أو المخاطب عبرنا عنه بتركيبٍ لفظيٍ جمليٍ اسنادي[٥]. وطبيعة هذا التركيب في اللغة العربية الفصحى، ولا سيما الجمل المنطوقة تكون ميسرةً أي اقل تركيباً للمباني مقارنة بالجمل المعقدة(المركبة)، فالجملة العربية بمحتواها الذي حُدد فيما بعد(اعني في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة التي افردت ابواباً، أو فصولاً، أو مباحثاً مستقلةً لدراسة الجملة العربية)، قد دُرستْ عند أصحاب المصنفات والمطولات النحوية الأوائل تباعاً الى القرن الخامس الهجري ضمن اصول الكلام العربي وقواعده[٦] اذ تناولوا صور تأليف الجملة العربية تبعاً للمسند اليه والمسند الفاقد احدهما للعوامل اللفظية، فضلاً عن ذلك انهم ذهبوا[٧]، الى القول في الفرق بين مفهومي الكلام والجملة وفي الحقيقة ليس ثمة تباينٌ بين المفهومين غير انها مصطلحان نحويان قد أُعتمدا في المصنفات النحوية لتحديد الظاهر اللغوية ،الا انهم قد اختلفوا فيهما وفي بناء الجملة العربية من حيث عدد العناصر اللغوية فضلاً عن مبدأ الفائدة التامة وانقطاع الكلام عنده، اذ جعلوا من هذه القوالب:

(فعل + فاعل)

(فعل + نائب فاعل)

(اسم فعل + فاعل)

(مصدر + فاعل)

(مبتدأ + خبر)

(مبتدأ + فاعل سد مسد الخبر)

أنماطاً تواصلية ميسرة، وربما تكون هذه القوالب او الانماط في بعض الحالات من الاخبار عبارات غير مفيدة وكذلك الشأن في جملة فعل الشرط.

[أداة شرط + فعل + فاعل]

اذ عدّها بعضهم[٨]، عبارةً لا يحسن السكوت عليها لعدم فائدتها. وهذا النمط من القول يقع فيما يسمى في الدرس النحوي بالكلام وليس في باب او حدّ الجملة، لكن القائلين بهذا لا يرون فرقاً بين الكلام والجملة.

اما الذين اعتمدوا مبدأ الفائدة التامة وانقطاع الكلام عنده فهم يرون أن الكلام والجملة شيآن مختلفان بينهما علاقة عموم وخصوص[٩]، وهذه العلاقة قد حفزت الدراسات النحوية بجانبها

---

٤)المنصف لابن جني : ١ : ٥.

٥) يُنظر: في النحو العربي قواعد وتطبيق : ٨٢_٨٣

٦) يُنظر الاصول في النحو: ٢ : ٢٨٧،وشرح المفصل : ١ : ٢٠

٧) يُنظر ابن جني في الخصائص : ١ : ٨،١ : ١٣٢،والزمخشري في شرح المفصل : ١ : ٢٠،وابن هشام في مغني اللبيب : ٢ : ٣٧٤

٨ يُنظر شرح المفصل : ١ : ٢٠،ومغني اللبيب : ٢ : ٣٧٤،وحاشية الصبان : ١ : ١٨٨

٩ يُنظر في نحو اللغة وتراكيبها : ٧٧_٧٨_٨٧

الدلالي، لان مفهوم الدلالة هو الفيصل في تحديد هذه العلاقة وما مدى الإفادة من خصائص الظاهرة اللغوية التي تقع في أطار احد هذين المفهومين، لذلك ذهبت الدراسات اللغوية الى دراسة الجملة العربية من زواياها المتعددة منها حجم الجملة وعدد العناصر اللغوية التي كوّنتها فضلاً عن الوظيفة التركيبية والدلالية والتداولية ويضاف الى ذلك مواقع العناصر اللغوية وما يميزها من حيث الحركة الاعرابية (وهذا ما افصحنا عنه في ما تقدم من الدراسة)، وهذا التفريع في دراسة الجملة جعل منها تركيباً نحوياً ينقسم على قسمين وذلك طلباً للموقع النحوي.

القسم الأول: جملة ذات موقع: تكون اسمية وفعلية فقط وليس لها موقع اعرابي.

القسم الثاني: جملة ذات موقع:

١. جملة طلبية: (فعل + فاعل - متعلق)

٢. جملة اسمية: (حالية، وصفية)

جملة فعلية (مصدر مؤول (فاعل - مبتدأ، خبر))

٣. جملة اسمية (مبدأ + خبر) [(حالية - وصفية، ظرفية مفعول به)]

ومن خلال هذا التقسيم يتضح تركيب الجملة العربية بصورتين تبعاً للمسند: فعل + فاعل // اسم + اسم (خبر)، وكل التعبيرات الاخر وما يُضاف اليها من عناصر لغوية اساسية كانت ام ثانوية انما هي صور اخرى لهذين الاصلين، أو نمط متحولٍ عن اصل الوضع[١٠].

والجملة العربية في ضوء الدراسات الالسنية تمثل الوحدة الأساسية للتحليل النحوي، اذ تُفكك هذه الجملة الى أجزائها الأساسية بواسطة قاعد التركيب العباري[١١]، والذي يعرف بالمركب الاسمي والمركب الفعلي.

---

١٠ يُنظر معاني النحو: ١ : ١٥_١٦

١١ يُنظر جومسكيو فكره اللغوي : ١٧٧

واذا ما رجعنا الى تقسيم النحاة نجدهم قسموا الجملة على أساس الاسناد[١٢]، والصورة اللفظة، وهذا ما جاء به الدرس الحديث باسم التركيب العباري. وقد أضافوا قسماً ثالثاً عُرف بالجملة الظرفية، وقد جعلوا المائز بين الأقسام الثلاثة هو ما يقع في صدر الجملة، ويمكن ملاحظة ذلك التصور بواسطة الوظيفة التركيبة والدلالية للجملة، وتتكون الجملة الاسمية من النواة او رأس العبارة الاسمية وهي الاسم التي تعود عليها التوابع وما الى ذلك من المباني سواء كانت كلمات او وحدات لغوية كبيرة[١٣]، ويسمى العنصر الرئيس في الجملة الاسمية المسند اليه اما الثاني فيسمى المسند وهو الخبر الذي لا تتم الفائدة[١٤] دونه وهو ما ثبت به المعنى[١٥]، ويأتي المسند في العبارة الاسمية على هيأة ثلاث صور:

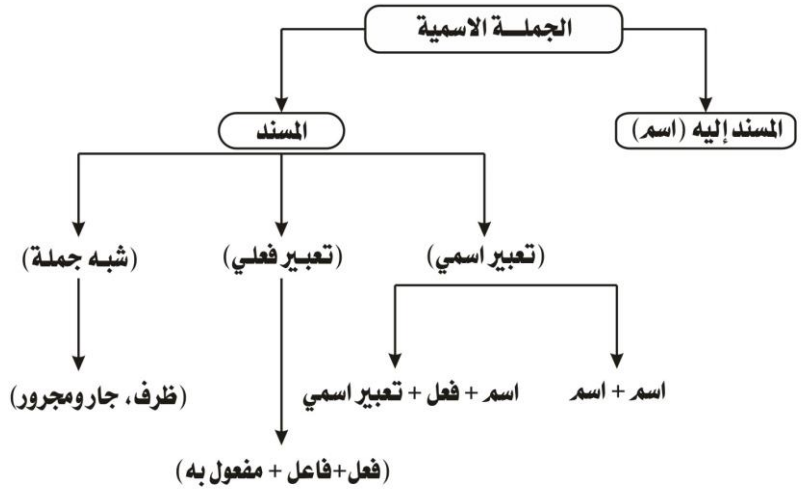

والذي يعنينا في هذا الموضع من الدارسة النمط التواصلي الميسر غير المعقدة من الجملة العربية والذي يتمثل بالإنموذج الاتي:

(المسند اليه + المسند)

وتلك الصورة من التعبير وهي ابسط صور الكلام التي حددها الإسناد في قولنا (زيد قائم) و(زيد عندك،)و(زيد في الدار)و(قام زيدٌ) وتبقى هذه الصور هي الأساس للأنماط المتحولة عنه، ولا سيما النمط الأول الذي يكون مسندها اسما[١٦]، وهذا التركيب الأول من الجمل يفيد ثبوت الحكم دون النَّظر الى التجدد والاستمرار أي اذا اردت الدلالة على الثبوت جئت بجملة مسندها اسم[١٧]، وهذه

١٢ يُنظر البحث النحوي عند الاصوليين : ٢٤٨،والتطور النحوي : ١٣٢
١٣ يُنظر نظرات في النحو العربي : ١١١-١١٢،(مرتضى جواد) مجلة كلية الاداب مج(٥)،ع (١١_١٢)لسنة : ١٩٧٦
١٤ يُنظر دلائل الاعجاز : ١٣٢
١٥ يُنظر المصدر نفسه : ١٤٦
١٦) يُنظر في النحو العربي قواعد وتطبيق : ١٥٠
١٧) يُنظر البحث النحوي عند الاصوليين : ٢٥٠

الصورة من الجملة غير المعقد، وهذان الركنان الاساسيان قد يدخل في تركيبهما قيدُ زائد، وهذه الزيادة تشكل عنصراً من عناصر التحويل في الجملة، وهو ما يضاف الى جملة النواة، اذ يعبر عنه النحاة (بالفضلات او التتمات). والبلاغيون بالقيد الذي يضاف الى جملة الاصل لتحقيق زيادة في المعنى، فكل زيادة في المبنى زيادة في المعنى[١٨]. اما الجملة الفعلية فهي التي يكون المسند فيها فعلا، والمسند اليه فاعلا، ويكون هذا الفعل اما ان يكون ماضيا او مضارعا، وفعل الامر فرع على المضارع، اما الفاعل فيكون اسما ظاهرا او مضمرا، وللجملة الفعلية طرف ثالث يستدعيه الفعل في حال كونه متعديا، وهذا ما اصطلح عليه بالمفعول به.

ومن نماط الجملة الاسنادية:

- أولاً: النمط الأول من الجملة الاسنادية

مسند + مسند إليه(فعل + فاعل):

إن معنى أي جملة متصل ذاتياً بمعنى الوحدة الكلامية، بحيث تعبر الوحدة الكلامية عن قضية ومحتوى الجملة[١٩]، وقد تتخذ الجملة حالات خاصة في تركيب الوحدات الكلامية التي تشمل ذلك المحتوى من الدلالة، والجملة الفعلية تستمد قضيتها ومحتواها من لفظ الفعل الذي يمثل اصل التراكيب وصوره، ومنه جاءت التسمية. ويرى الاستاذ علي الجارم ان الجملة الفعلية هي (الاصل والغالب الكثير في التعبير، لان العربي جرت سليقة ودفعته فطرته الى الاهتمام بالحدث في الاحوال العادية الكثيرة وهي لا يريد فيها ان ينبه السامع الى الاهتمام بمن وقع عليه الحدث او التي لا يهتم هو فيها بمن وقع منه الحدث، فالأساس عنده في الاخبار ان يبدأ بالفعل)[٢٠] بالإضافة الى ميل العربي الى الايجاز وتجنب الفضول فهو يقول: ((جاء الرجل) ولا يقول (الرجل جاء) لان الثانية تتضمن تكرار الاسناد لا محالة)[٢١] وقد ايد الدكتور ابراهيم السامرائي[٢٢] هذا القول من اهتمام العربية بالفعل وغلبة الجملة الفعلية على كلام العرب. ان تحليل الجملة الفعلية يتوقف اساساً على دلالة الفعل في التركيب، ودلالة كل من الاجزاء التي تتألف معه[٢٣]، ويمتد مفهوم التركيب للجملة الفعلية امتداداً مباشراً عن مستويات التركيب في اللغة، ومعنى هذا ان التركيب الجملي يبنى على عناصر تامة تمثل المستوى الصرفي لتلك العناصر، لان ادراك دلالة الحدث والزمن تبدأ من المستوى الصرفي لذلك العنصر الاساس في التركيب وهو (الفعل) وبعد ذلك يبنى التركيب على عناصر مساعدة والتي تكون رموزاً موظفة في صياغة القواعد النحوية (كالفاعل، والمفعول، والحال، والتميز) وهذه العناصر مع العنصر الاساس تتمثل بالمستوى النحوي، الذي يحدد مفهوم السياق، فان عملية ادراك المعنى لأي نوع من أنواع الجمل تبدأ من المستوى الباطني[٢٤] الذي يظهر على السطح بشكل لفظي محسوس، وجيء بهذا المكون اللفظي نتيجة للعلاقات القواعدية الموجودة في البنية العميقة، والتي تقرر معنى أي تركيب جملي.

---

١٨) يُنظر في نحو اللغة وتراكيبها : ٩٨

١٩) يُنظر: اللغة والمعنى والسياق : ١٢٠.

٢٠) الجملة الفعلية أساس التعبير الفعلي (علي الجارم) : ٣٤٧، مجلة مجمع اللغة العربية القاهرة جـ(٧)، ١٩٥٣.

٢١) المصدر نفسه : ٣٥.

٢٢) يُنظر: الفعل والنظام الفعلي في العربية (إبراهيم السامرائي) : ٢٨٠، مجلة مجمع العلمي العراقي مج (٦)، ١٩٥٩.

٢٣) يُنظر: تحليل الجملة الفعلية (إبراهيم البنا) : ٩٥، مجلة معهد اللغة العربية –جامعة أم القرى- مكة المكرمة ع (٢) لسنة ١٩٨٤.

٢٤) يُنظر: جوانب من النظرية اللغوية في ضوء الدراسات الحديثة (د. هدى محمد صالح) : ٥٣، مجلة المجمع العلمي الأردني مج(٤٨) ج١، لسنة ٢٠٠١، واللغة والمعنى والسياق : ١٦٩.

فالبنية الداخلية للجملة الفعلية تختلف من حيث ترتيب مكوناتها الاساسية في البنية العميقة والبنية السطحية، لان الجمل في العربية التي يكون فيها المسند فعلاً تقدم أو تأخر تكون بنيتها العميقة هي:

(اسم + فعل + اسم +) (البنية العميقة).

وهذا النمط كان موجودا ابتداءً في اللغات العروبية، أي أنَّ الفعل يكون في نهاية الجملة، وعند (اعتبار البيئة الداخلية للجملة الفعلية (فعل + اسم (فاعل) + مفعول به) يعني صراحةً ان الفعل والمفعول به ليسا مكوناً جملياً واحداً، فإذا تبين ان هناك ما يدعو الى اعتبارها مكوناً جملياً واحداً، فان الافتراض ان البنية الداخلية هي (فعل + فاعل + مفعول) ينهار من اساسه)[٢٥] لان عدم اعتبار الفعل والمفعول مكوناً جملياً واحداً يؤدي الى الحاجة الى قاعدة الزامية لإلحاق ضمير المفعول به بالفعل، اما اذا اعتبرا مكوناً جملياً واحداً فان هذه القاعدة الالزامية يستغنى عنها[٢٦].ويرى الدكتور الرشيد ابو بكر (ليس من الممكن توليد جملة في قالبها الفعلي (فعل + (اسم) + فاعل + مفعول) من البنية العميقة (اسم + فعل + اسم) لان قواعد تراكيب التعابير تفرض التوالي بين العناصر التي تكون البنية اللغوية المباشرة للجملة[٢٧] ومن خلال العناصر التي تكون البنية اللغوية، فان معنى الجملة يؤخذ من معنى العناصر الأولية وكيفية ارتباط هذه العناصر بعضها ببعض[٢٨] ومن ثم فان أي تغير في المستوى العميق يتبعه تغير في الشكل الخارجي للصياغة[٢٩] الأولية لعناصر التركيب.

إلا أن تحليل الجملة الفعلية لابد ان يعتمد بعد المستوى الصرفي والنحوي المستوى التحويلي، لأن طبيعة الجملة الفعلية تكون في مرحلة ما بعد جملة النواة، لان البنية العميقة للجملة التي يكون المسند فيها فعلاً (اسم (فاعل) + فعل + اسم)، وعندما نمثلها على السطح أي الشكل الخارجي فإن معنى الجملة يذهب بها إلى الاسمية، لذلك تتم عملية تحويل لهذه الجملة اللبية، وهي عملية ترتيب العناصر المكونة لهذا البناء القواعدي بحيث يصبح التركيب الآتي:

فعـــل + فاعـــل+ مفعـــول به

(المســـند)+ (المســـند اليه)+ (التتمة)

إن دراسة تصور البنية العميقة والسطحية للجملة الفعلية تقودنا الى فهم التغيرات والتحولات الطارئة التي تتمثل في بنية السطح، وطبيعة الجملة الفعلية من حيث المكونات تكون (ابسط تركيباً من الجملة الاسمية)[٣٠] وهي الجملة التي يشير المسند فيها إلى زمن معين سواء في الماضي ام في الحال ام في المستقبل[٣١]، أي هي التي يكون فيها المسند دالاً على التغير والتجدد[٣٢] (مع الاختصار في زمن معين)[٣٣] وتحديد الزمن في هذه الجملة يكون بواسطة الصيغ الفعلية او القرائن الفعلية والظرفية والحرفية والمعنوية والتاريخية[٣٤]، إلى جانب الصيغة التي تمثل اصل التركيب والتي تكون خالية من

---

٢٥) البنية الداخلية للجملة الفعلية في العربية : ٥٠.
٢٦) يُنظر: المصدر نفسه : ٤٩-٥٠.
٢٧) يُنظر: استخدام التحولات النحوية : ٧٧.
٢٨) يُنظر: جوانب من نظرية النحو : ١٩٧.
٢٩) يُنظر: جوانب من النظرية اللغوية العربية في ضوء الدراسات الحديثة : ٥٣.
٣٠) التطور النحوي : ١٤٠.
٣١) يُنظر: الدلالة الزمنية في الجملة العربية : ٤٨.
٣٢) يُنظر: في النحو العربي قواعد وتطبيق : ٨٦.
٣٣) علوم البلاغة : ٥٥.
٣٤) يُنظر: الدلالة الزمنية في الجملة العربية : ٥٠.

الزمن الصرفي مع تلك القرائن لان زمن الصيغة لا يتطابق مع زمن السياق[٣٥] في بعض الاساليب والظواهر اللغوية.

إن صورة الجملة الفعلية الاساسية ان يتقدم فيها الفعل (المسند) على الفاعل (المسند إليه) لان المعتبر من التسمية ما هو صدر في الأول[٣٦]، والاسناد في الجملة الفعلية جار على الفعل، لأنه الاصل في الاخبار عن الحدث، فإذا اردت الدلالة على الحدث جئت بجملة مسندها فعل[٣٧]، ويرى التبريزي: (ان قوام الجملة الفعلية (الحدث) الذي لا يجوز الاغماض عنه بخلاف الفاعل والمفعول وبقية المتعلقات التي يجوز حذفها مع بقاء القضية على فعليتها)[٣٨].

إلا أن الفعل مع دلالته على الحدث يكون طالباً لما بعده على نحو من الاسناد، لا فاقداً له، لان (المعنى النحوي في الجملة الفعلية محكوم بدلالة الفعل ودلالة الاجزاء معه ثم السياق)[٣٩] فبالجملة الفعلية يعبر عن الحدث مسنداً إلى زمن منظوراً إليه باعتبار مدة استغراقه منسوباً إلى الفاعل، موجهاً إلى المفعول، إذا لزم الامر، فموضوع الجملة الفعلية إن تأمر بحدث، أو إن تقرر حدثاً، أو إن تتخيل حدثاً[٤٠].

ودراستنا للجملة الفعلية تبدأ بدراسة المبنى الأول لهذه الجملة (الفعل) ومن ثم عناصرها المكونة لها، ولإيضاح هذا المبنى وتلك العناصر المكونة لتركيب، لابد ان ندرس البنية الأولى (بنية الفعل) في نظامها الصرفي ومن ثم دراسة مكونات التركيب للجملة في نظامها النحوي الذي يعتمد من حيث الدلالة على نتائج النظام الصرفي في بلورة الظاهرة اللغوية. لان الدراسة الحديثة تسعى إلى (معرفة النظام الكامل لدلالات المفردات أولاً ثم طرق اقتران بعضها ببعض لتكون الجمل ذات المعنى المفهوم والمقبول.)[٤١].

المستوى الصرفي والجملة الفعلية

إذ يهتم المستوى الصرفي في اللغة العربية بدراسة بنية الكلمة واحوالها، ووصف الجانب الشكلي للبنية من حيث تحديد الاصول والزوائد، وما يتصل ببنية الكلمة من لواحق[٤٢].

(الفعل): إن الفعل عنصر اساس من العناصر اللغوية التي تكون الجمل والاساليب، وهو عند سيبويه (امثلة اخذت من لفظ احداث الاسماء)[٤٣] أي (اشتراكه مع مصدره في مادة واحدة لان المصدر اسم الحدث)[٤٤].

والفعل بمادة الصرفية يكون معنى مركباً من (وظيفة الصرفيتين الحدث والزمن)[٤٥] أي يتضمن معنيين في آن واحد[٤٦]، وتكون دلالته على الحدث بالتضمين لا بالمطابقة[٤٧]. لأنه يؤخذ من خصوص

---

٣٥) يُنظر: الزمن واللغة: ٨٢-١٢٠، د. مالك يوسف المطلبي (رسالة دكتوراه).
٣٦) يُنظر: المغني: ٢: ٣٣٦، وفي النحو العربي قواعد وتطبيق: ٩٠-٩١.
٣٧) يُنظر: معاني النحو: ١: ١٦.
٣٨) البحث النحوي عند الاصوليين: ٢٥١.
٣٩) تحليل الجملة الفعلية: ٩٨.
٤٠) يُنظر: البحث النحوي عند الاصوليين: ٢٥٠.
٤١) دور الكلمة في اللغة: ١٦٤.
٤٢) يُنظر: المستوى الدلالي في كتاب سيبويه: ٧٠.
٤٣) الكتاب: ٢: ٢.
٤٤) اقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة: ١٤٥.
٤٥) الاصول في النحو: ١: ٣، ويُنظر الامالي البحترية: ١: ٢٩٣، ونتائج الفكر في النحو: ٦٤، والنظرية التولدية في النحو العربي: ١٢٣.
٤٦) يُنظر: الجملة الفعلية اساس التعبير في اللغة العربية: ٣٥٠.
٤٧) يُنظر: نتائج الفكر في النحو: ٦٦.

خصوص اصل المادة الاشتقاقية[٤٨] وهي المصادر، ودلالة على الحدث صفة الثابتة وهي الاقوى، لان (دلالته على الحدث لا تتغير بالقرائن اللفظية او المعنوية)[٤٩].

إن الافعال بصورة عامة احداث تتضمن ازمنة مختلفة تناسب المعاني التي يقصدها المتكلم عند التعبير عن الماضي او الحال او الاستقبال، وتتضح من خلال وظيفة السياق[٥٠] وهذا ما اشار اليه سيبويه بقوله (بنيت لما مضى، وما لم يقع، وما هو كائن لم ينقطع)[٥١].

والفعل في العربية لا يتعدى الماضي والمضارع[٥٢] وهذا مرتبط بتقسيم الحدث الى قسمين (حدث تام وقع وانتهى، وحدث ناقص لم يتم ولم ينتهِ)[٥٣].

فالفعل الماضي كلمة دلت وضعاً على حدث وزمان انقضى[٥٤] وهو ما عدم بعد وجوده، فيقع الاخبار عنه في زمان بعد زمان وجوده[٥٥]، ويتردد الدكتور إبراهيم السامرائي في معرفة زمان هذا الماضي (فهو يصدق على حدث مضى قبل لحظات، وعلى آخر مضى عليه زمان طويل)[٥٦].

ويرى اطلاق لفظ الماضي على هذا ونحوه من باب التوسع والتساهل الذي مبعثه قلة ضبط الازمنة العربية[٥٧] ويقول الدكتور إبراهيم أنيس (ولاشك ان ربط الصيغة بزمن معين، يحملنا في اللغة العربية على كثير من التكلف والتعسف في فهم الاساليب)[٥٨] لان الصيغة الخاصة بزمن ما قد تخرج من دلالة الزمن الصرفي الى الدلالة الزمنية السياقية، أي الزمن الذي يحدده السياق، بحيث ينحرف زمن الصيغة في التعبير عن دلالته الأولى في اصل الوضع عند دخوله في الزمن السياقي الذي تحدده القرائن.

إلا أن مفهوم الزمن في العربية يستند إلى مفهوم محدد ذات طبيعة خارجة عن السياق اللغوي، أي انه ينطلق من صور لفظية ضمن هذا المستوى.

وقد ذهب الدكتور مالك يوسف المطلبي مذهب الدكتور إبراهيم أنيس ويعلل ذلك (بأن الصيغة الفعلية في بنائها الافرادي لا تنتج زمناً)[٥٩] وفسر التخالف بين اشكال الصيغ الفعلية تفسيراً غير زمني[٦٠] وهذا ما اورده يوسف ذياب (بأن النحاة قد ربطوا ربطاً غير واقعي بني صيغة اللفظة ودلالتها الزمنية)[٦١].

إلا أن النحويين يجمعون على ان الافعال (ينبغي ان تكون مثالاً واحداً لأنها لمعنى واحد، ولكن خولف بين صيغها لاختلاف احوال الزمان، فإذا اقترن بالفعل ما يدل عليه من لفظ او حال جاز وقوع بعضها موقع بعض)[٦٢] أي ان التخالف بين الصيغ يحدده الزمن الصرفي لتلك الصيغ، (وكلما

---

٤٨) يُنظر: القرائن النحوية: ٢٩.
٤٩) نتائج التحصيل في شرح كتاب التسهيل: ١: ١١٥٢.
٥٠) يُنظر: الدلالة الزمنية في الجملة العربية: ٢٥.
٥١) الكتاب: ١: ٢.
٥٢) يُنظر: الفعل والنظام الفعلي: ٢٧٨.
٥٣) من اسرار اللغة: ١٦٩.
٥٤) يُنظر: شرح الحدود النحوية: ٤٩.
٥٥) يُنظر: شرح المفضل: ٧: ٤.
٥٦) الفعل والنظام الفعلي في العربية: ٢٧٨.
٥٧) يُنظر: المصدر نفسه: ٢٧٨.
٥٨) من اسرار اللغة: ١٧٢.
٥٩) الزمن واللغة: ٣٨٠.
٦٠) المصدر نفسه: ٣٨٠.
٦١) في دائرة النقد اللغوي: ١٩.
٦٢) يُنظر: الايضاح في علل النحو: ٥٢-٥٣، والامالي الشجرية: ١: ٣٠٤-٣٠٥.

زاد الخلاف كلما قويت الدلالة على الزمان)[٦٣].

ومن ادلة دلالة الصيغة الفعلية على الزمن هو اشتقاق اسم الفاعل واسم المفعول لان هذه الاسماء دالة على الزمن لاشتقاقها من الفعل[٦٤].

ومن الصيغ الفعلية الفعل المضارع الذي يدل على حدث وزمان غير منقضٍ حاضراً كان أو مستقبلاً[٦٥]، أي (مستقبل منتظر لم يقع ودائم واقع في الوقت الذي انت فيه)[٦٦] ويمكن ان يخلص للحال فقط اذا دخلت عليه لام الابتداء كقوله تعالى:(إِنّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُواْ بِهِ)[٦٧] اما اذا دخلت عليه السين وسوف يخلص للاستقبال[٦٨] وسمي المضارع مضارعاً (لكون الفعل مبهماً باحتمال الحال والاستقبال)[٦٩].

إن صور الفعل (فعل، يفعل، سيفعل) تمثل الزمن الصرفي الخاص بكل صورة والذي يمثل بالشكل الآتي:

فعل	الى	[الزمن الماضي
يفعل	الى	[زمن الحال، والمستقبل بقرينة
سيفعل. سوف يفعل	الى	[المستقبل

فصيغة المضارع تصلح لزمنين –الحال والاستقبال في الوضع اللغوي الأول المطلق، ثم تنقل بالاستعمال الى وضع لغوي مقيد وهو دلالتها على الحال فقط عند تجرد صيغة المضارع من القرائن[٧٠]. فـ(المضارع حقيقتان الأولى وضعية والثانية حقيقية لغوية استعمالية، فإذا وجدت القرائن تعين زمن المضارع، والا بقيت حقيقته اللغوية الاستعمالية، دالة على الحال)[٧١]، وقد اثبت ابن عصفور دلالة فعل الحال من حيث الوجود والدلالة على الزمن، ودليله على وجوده هو (ان الموجود في الحال وجوده لابد له من زمان، والزمان منحصر في الماضي والمستقبل(.) وهما معدومان، وموجود في الحال وجوده في زمن معدوم لا يتصور، فثبت بهذا زمن ثالث وهو زمن الحال)[٧٢]، اذ لا يتصور الاخبار عنه بالمضي او الاستقبال لانهما ليسا بصفتين له[٧٣].ودليل اثبات فعل الحال (انهم يقولون: يفعل الآن – ولا يقولون افعل الآن ولا: فعل الآن، الا قيلاً عن طريق الاتساع وتقريب الماضي والمستقبل من الحال)[٧٤].

وقد ذكرنا فيما اسلف من القول ان الافعال مثال واحد، ولكن خولف بين صيغتها لاختلاف احوال الزمان، وعلماء العربية عنوا بهذه المسألة بخصوص زمن الصيغ ومعرفة اصل وضع الافعال ومن هو اصل لغيره، اذ نقل السيوطي ان (الماضي هو الاصل في الافعال لأنه اسبق الامثلة لاعتلال المضارع والامر باعتلاله، لان المضارع هو الماضي مع الزوائد والامر منه بعد طرحها)[٧٥] والدليل الاخر

---

٦٣) الخصائص : ١ : ٣٧٦.
٦٤) يُنظر: الامالي الشجرية : ١ : ٢٩٣.
٦٥) يُنظر: شرح الحدود النحوية : ٥٠.
٦٦) الواضح في علم العربية : ١١٤.
٦٧) يوسف : ١٣.
٦٨) يُنظر: شرح المفضل : ٧ : ٦.
٦٩) اسرار النحو: ٢٢٩، ويُنظر شرح المفصل : ٧ : ٦-٧.
٧٠) يُنظر: الفعل المضارع دلالته وعلة إعرابه وبنائه : ٥٤-٥٥-، ٢٥٣ (رسالة ماجستير).
٧١) المصدر نفسه : ٥٤-٥٥.
٧٢) شرح الجمل لابن عصفور : ١ : ١٢٧.
٧٣) يُنظر: شرح الجمل لابن عصفور : ١ : ١٢٧.
٧٤) المصدر نفسه : ١ : ١٢٨.
٧٥) همع الهوامع : ١ : ٢٦-٢٧.

الذي يقفون عنده هو حركة عين الفعل الثلاثي حين يرون ان نوع الحركة في المضارع يتوقف على نوعها في الماضي[٧٦].

والزجاجي يرى ان اسبق الافعال في التقدم الفعل المستقبل (لان الشيء لم يكن ثم كان، ولعدم السَّابق للوجود، فهو في التقدم منظر، ثم يصير الى الحال ثم ماضياً، فيخبر عنه بالمضي، فاسبق الافعال في الرتبة المستقبل ثم فعل الحال وثم الماضي)[٧٧].

والحق الذي نراه ما ذهب إليه الزجاجي واصله علي بن سلمان في ان المضارع اصل للأفعال من الماضي[٧٨]. ويتضح هذا أكثر في الازمنة البسيطة المنفية والمركبة كأسلوب (لم) و (ما). ومن المحدثين ذهب الدكتور داود عبده في ان المضارع سابق للماضي وان المضارع اسبق من الماضي ودليل اشتقاقه: (أن الفعل الماضي يمكن اشتقاقه من المضارع بقواعد عامة وان العكس غير ممكن)[٧٩]، والدليل الثاني على ان الماضي مشتق من المضارع وليس العكس (نستمده من المشتقات الاخر (.) نجد ان ليس هناك صيغة يمكن اشتقاقها من الماضي الا امكن اشتقاقها ايضاً من المضارع (بقاعدة مماثلة او اسهل) كما نجد ان هناك صيغاً يمكن اشتقاقها بقواعد عامة من المضارع ولا يمكن اشتقاقها من الماضي كاسم الفاعل واسم المفعول، من الفعل المزيد مثلاً، يمكن اشتقاقهما من الماضي او من المضارع، ولكن اشتقاقهما من المضارع اسهل (.) والفعل الامر يشتق من المضارع (المجزوم) بقاعدة عامة هي حذف حرف المضارعة او حركة، ولكن لا يمكن اشتقاقه اطلاقاً من الماضي بقاعدة عامة)[٨٠]. وكذلك لا يمكن اشتقاق اسم المكان بقاعدة عامة من الماضي[٨١].

والدليل الثالث مستمد (من النظام الصوتي في العربية وان النظام الصوتي في العربية لا يسمح بالبدء بصحيحين متواليين (البدء بساكن)، فإذا خالفت هذا النظام فان قاعدته صوتية معروفة، هي قاعدة صرفية معروفة، هي قاعدة اضافة علة قصيرة مسبوقة بـ(همزة الوصل) تطبق عليها:

فْ/ عْ/ل.... أَ/فْ/ع/ل.

وحين نستعرض الصيغ التي تنطبق عليها هذه المخالفة للنظام الصوتي للعربية نجد من بينها فعل الامر والمصدر والفعل الماضي (.) ولكننا لا نجد من بينها الفعل المضارع.)[٨٢] ولنا في ذلك قول مرادف لما قيل، اذ ان المضارع مشترك مع مصدره في مادة واحدة، المصدر اسم والمضارع سمي مضارعاً لمشابهة الاسم، لذلك تكون عملية التحول والاشتقاق من المصدر الى الفعل المضارع اسهل واقرب من الفعل الماضي، ويظهر ذلك جلياً في الاصل الاجوف مثل (قَوَلَ) يكون الفعل المضارع منه (يَقُوْلُ) وبالمرحلة اللاحقة يمكن أن يشتق الفعل الماضي بقاعدة عامة[٨٣] وبإجراء عملية تحويل يحذف حرف المضارع• مع حركته، وتمثيلاً لهذا الذي طرح ينظر الشكل الآتي:

---

٧٦) يُنظر: من اسرار اللغة: ٤٩، والماضي والمضارع ايهما مشتق من الاخر، د. داود عبده: ١٣٦، مجلة العربية للعلوم الانسانية ع(٩) مجمع (٣) ١٩٨٣، ومن اسرار اللغة: ٤٩.

٧٧) الايضاح في علل النحو: ٨٥.

٧٨) يُنظر: كشف المشكل في النحو: ٢٠١.

٧٩) الماضي والمضارع ايهما مشتق من الآخر: ١٤٠-١٤١-١٤٥.

٨٠) المصدر نفسه: ١٤٦.

٨١) يُنظر: المصدر نفسه: ١٤٦.

٨٢) المصدر نفسه: ١٤٦-١٤٧.

٨٣) يُنظر: محاولة السنية في الاعلال (احمد الحمو): ١٧١-١٨٨، مجلة الم الفكر مج (٢٠) ع (٣) ١٩٨٩.

• وقد يحمل الماضي على المضارع في ابدال الياء من الواو حيث اذا وقعت (الواو) في الماضي من ذوات الاربع فصاعداً تقلب الواو ياءاً لان الواو تصير في المستقبل الى الياء لانكار ما قبلها لذلك حملو الماضي عليه وحسن حمل الفعل على الفعل لان الافعال جنس واحد. يُنظر امالي الشجري: ١: ٦٦.

قَــولٌ (مصدر)
يَـ/قُــول (فعل مضارع)
قَوَلَ -قَالَ (فعل ماضي)

والفعل المضارع والماضي في اللغة العربية في حالة الإفراد أي عدم الاسناد الى اسم ظاهر لهما ثلاث دلالات[٨٤] الأولى هي الدلالة على موضوع حدث ما، والثانية هي الدلالة على المسند إليه الذي يقع منه الحدث حيث تدل عليه السَّابقة في المضارع، وتدل عليه نسبة الحدث في الماضي والثالثة الدلالة على الزمن الذي بيناه فيما مضى من القول، واشار سيبويه الى ذلك من قبل في باب أسماه (باب علامات المضمرين المرفوعين) قال(اعلم أن المضمر المرفوع إذا حدّث عن نفسه فأنه علامته (أنا)، وإن حدث عن نفسه وعن اخر قال (نحن) وإن حدث عن نفسه وعن آخرين (نحن) ولا يقع (انا) في موقع (التاء) التي في (فعلتُ)، ولا يجوز أن تقول (فعل انا)، لانهم استغنوا بالتاء عن (انا) ولا يقع (نحن) في موضع (انا) التي في (فعلنا)، لا تقول: فعلنا نحن، واما المضمر المخاطب فعلامته إن كان واحدا: (انت)، وإن خاطبت اثنين فعلامتهما: (أنتما)، وإن خاطبت جميعا فعلامتهم: (أنتم)[٨٥] وفصح فيما بعد عن عدم وقوع العلامات موقع الضمير الملحق بالفعل، وهذا الامر ينطبق على الضمير المستتر الذي يقدر في الفعل ويكون مصاحبا له في التقدير لا القول به: أي أنك تقول: ذهبَ، ولا تقول: ذهب هو لان ذلك غير جائز عند سيبويه[٨٦].

- ثانياً: المستوى النحوي للجملة الفعلية

يشكل الفعل بمادته و أنواعه عنصراً ثابتاً في بناء الجملة الفعلية وهو الاصل في الاخبار والتركيب. ويأتي تركيب الجملة الفعلية حسب انظمة وقواعد تؤخذ بعين الاعتبار عند بناء تلك الجملة، لان القاعدة النحوية في اللغة العربية قانون يرجع إليه عند توليد مثل هذه الجمل، ودراسة الجملة الفعلية في اطار هذا المستوى من القواعد يمثل جميع عناصر الجملة سواء كانت جملة فعلية ذات فعل لازم او متعدٍ، بالإضافة الى متعلقاتها من مصدر مؤكد لفعله او حال او تميز. وبطبيعة العناصر المكونة للجملة الفعلية وعلى اساسها يتم تقسيم انماط الجملة الفعلية على قسمين:

١. النمط الميسر للجملة الفعلية(فعل+فاعل)

وهو النمط الأول للجملة الفعلية التي لا يتعدى الفعل فيه الى مفعول[٨٧] ويكون الفعل لازماً ويسميه الفراء[٨٨] فعلاً ليس بواقع، وتكون العلاقة بينه وبين الفاعل علاقة اسناد، وهي علاقة معنوية[٨٩] اذا كان الفاعل اسماً ظاهراً، اما اذا كان مستتراً فثمة علاقة تدل على نسبة الفعل الى الفاعل بحيث (ان معنى الفعل يدل على الفاعل، وهو يدل عليه دلالة تضمن)[٩٠].والفعل في هذا الوضع من التركيب يكون في الاعراب على ضربين، الأول ما يختص بالإعراب، وهو ان الحرف الاخير منه لا يلزم حركة واحدة وهو الفعل المضارع، اما الثاني وهو ما يلزم حركة واحدة وهما الماضي والامر[٩١]، والذي يهمنا أكثر من تلك الافعال الفعل المضارع، فإعرابه الرفع والنصب والجزم فالرفع

---

٨٤) يُنظر: معاني المضارع في القرآن الكريم: ١٤٩، (حامد عبد القادر) مجلة مجمع العلمي القاهرة ج(١٣): ١٩٥٨.
٨٥)الكتاب: ١: ٢٣،ويُنظر٢: ٤٨،و٣٥٠
٨٦)يُنظر المصدر نفسه: ١: ٢٣.
٨٧) يُنظر: شرح المفصل: ٧: ٦٢.
٨٨) يُنظر: المصطلح النحوي: ١٨٠.
٨٩) يُنظر: القرائن النحوية: ٤١.
٩٠) الخصائص: ٣: ١٠٠، ويُنظر دلالة الاعراب لدى النحاة القدماء: ١٠٣، والجملة الفعلية اساس التعبي الفعلي: ٣٤٩.
٩١) يُنظر: شرح المفصل: ٧: ٤.

للفعل (تجرده من الناصب والجازم وفاقاً للفراء، لا حلوله محل الاسم خلافاً للبصريين)[٩٢]، فالنحاة متفقون على ان الفعل المضارع معرب وكلهم متفقون على انه اذا تجرد من النواصب والجوازم فهو مرفوع[٩٣]. الا انهم يختلفون في بيان العامل الذي عمل فيه الرفع ولهم في هذا الشأن ثلاثة مذاهب:

الأول: (وهو قول الفراء وغيره من حذاق الكوفيين، وقول الاخفش من البصريين، واختاره ابن مالك وحاصله ان الذي يرفع المضارع لفظاً او تقديراً او حملاً هو تجرده من النواصب والجوازم، وقد استدلوا بهذا المذهب بان الرافع يدور مع التجرد من النواصب والجوازم وجوداً وعدماً، نعني انه كلما وجد التجرد المذكور وجد الرفع وكلما امتنع التجرد المذكور بان سبقه ناصب او جازم امتنع الرفع)[٩٤].

اما المذهب الثاني: وهو قول البصريين الا الاخفش والزجاج، وحاصله ان العامل الرافع للفعل المضارع هو حلوله محل الاسم، الا ترى ان (يقوم) في قولك (زيد يقوم) فدخل محل (قائم) من قولك (زيد قائم)[٩٥] أي (ان رافعه عامل معنوي)[٩٦].

أما المذهب الثالث[٩٧] وهو قول ابي العباس احمد بن يحيى ثعلب والزجاج وحاصله ان الذي يرتفع به المضارع وهو مضارعته –أي مشابهته- للاسم.

إن المذهبين الاخيرين مشوبان بعدم الدقة، لان الدرس النحوي الحديث والتوليدي خاصة، يذهب الى استغلال الوحدات المعجمبية، وتحديد ما هيتها وتصنيفها في ابوابها التي تكونها، فثمة فرق بين الفعل المضارع واسم الفاعل، من حيث وقوع الفعل موقع الاسم او مشابهته، فالمشابهة قياس شكلي ولا يمكن العمل به اما وضع الفعل موضع الاسم فليس دليلاً على اعراب، لان ذلك ترفضه خصوصية التركيب أي لكل جملة تركيبها الخاص ذات قوانين خاصة تحكم هذا التركيب، فعبارة: (زيد يقوم) عبارة اسمية عند البصريين انفسهم والرافع للمبتدأ والخبر عندهم الابتداء وهو عامل معنوي، والعامل المعنوي هو التجرد من عوامل النصب والجر في الاسماء، فالرافع للفعل المضارع هو ما ذهب اليه الفراء والكوفيون والاخفش وصححه المرادي[٩٨] والاشموني[٩٩] وحاصله تجرده من النواصب والجوازم، ودلالة العامل في هذا دلالة عدمية[١٠٠].

إن الافعال بطابعها العام من العوامل الداخلة على الاسماء خاصة، وهي عند البصريين اقوى العوامل جميعاً، حيث تعمل متقدمة في الفاعل ومتعلقاته من الحال والتمييز[١٠١] فـ(مجال عمل الافعال الاسماء فلا يعمل فعل في فعل، والفعل والفاعل عند البصريين كالشيء الواحد)[١٠٢] اذ يعرف بالبنية اللغوية بالقالب الاجباري[١٠٣]، إذ يرد في كل حالات ظهور البنية اللغوية (سواء كان ظاهراً أم مضمراً وسواء كان المضمر بارزاً ام مستتراً)[١٠٤] والاستتار السمة البارزة في الجملة الفعلية

---

٩٢) اوضح المسالك : ٤ : ١٤١، ويُنظر: الزمن في النحو العربي : ١٦٠.
٩٣) يُنظر: اوضح المسالك : ٤ : ١٤٦.
٩٤) اوضح المسالك : ٤ : ١٤٦، (يُنظر قول المحقق).
٩٥) يُنظر: نتائج الفكر في النحو: ٧٨، واوضح المسالك : ٤ : ١٤٦، وابو العباس المبرد واثره في علوم العربية : ١٠٤.
٩٦) مدرسة الكوفة : ٢٩٢.
٩٧) يُنظر: الامالي الجشرية : ٢ : ١١٢، واوضح المسالك : ٤ : ١٤٦.
٩٨) يُنظر: توضيح المقاصد : ١ : ٢٦٠.
٩٩) شرح الاشموني : ٣ : ٢٨٢.
١٠٠) يُنظر: النحو الوصفي من خلال القرآن الكريم : ١٤٥.
١٠١) يُنظر: مدرسة الكوفة : ٢٧٧.
١٠٢) المصدر نفسه : ٢٧٧، ويُنظر الجملة الفعلية اساس التعبير في اللغة العربية : ٣٥.
١٠٣) يُنظر: المدخل الى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي : ١٩٤.
١٠٤) مدرسة الكوفة : ٢٧٧.

اذ لا يخلو الفعل من قرينة دالة عليه في بنية الفعل، ففي المضارع تقع في بداية الفعل والماضي في نهايته، وهذه ليست الا فروقاً شكلية، وقد تعكس هذه القرائن واقع البنية العميقة للجملة الفعلية أي اننا لو قدرنا ذلك الضمير (الفاعل) فتكون رتبة التقدم قبل الفعل[١٠٥] (إذ ليس ضرورياً ان تظهر كل مكونات الجملة في تركيبها السطحي (.) وليس هذا الا دليل على ان التركيب السطحي للجملة لا يمثل ما هو عليه تركيبها العميق الذي يحتوي مكوناتها الاساسية قبل جريان قواعد التحويل عليه)[١٠٦].

إن الفعل عند كثير من الكوفيين لا يعمل في الفاعل، فالعامل في الفاعل عند الكسائي ليس لفظ الفعل وانما كونه داخلاً في الوصف أي كونه متلبساً بالفعل[١٠٧] والفاعل اسم لا يقع جملة[١٠٨] ولا يستغني الفعل عنه لان الفعل دون الاسم (الفاعل) لا يكون كلاماً فلا بد من تقديره ان لم يكن ظاهراً[١٠٩]، وللفاعل بعد الفعل اللازم رتبة واحدة وهي التأخير بعد الفعل وهي من الرتب المحفوظة[١١٠]، ولا يجوز تقديمه الا عند الضرورة مع وجود قرينة دالة على التركيب الفعلي. وحكم الفاعل بعد العامل (الفعل) (ان يكون مرفوعاً بإسناد الفعل اليه سواء ظهر الرفع او خفي او وجب له الفعل او نفي)[١١١].

وقد يروى الى النحاة عن العرب انهم اعطوا الفاعل الرفع لقلته، لكي يقل في كلامهم ما يستثقلونه[١١٢] لان الرفع اثقل الحركات في كلام العرب. وقيل ان الرفع الواقع في الفاعل انما هو للفرق بين الفاعل والمفعول اللذين يجوز ان يكون كل واحد منهما فاعلاً ومفعولاً[١١٣]، أي يكون عاملاً في معنى الفاعل وهذا ما ذهب اليه خلف الاحمر وابو البركات الانباري والرضي[١١٤] وقيل ان الرفع علم كون الاسم عمدة الكلام[١١٥] لذلك (لا يكون للفعل الا فاعل واحد من حيث ان الفعل حديث وخبر، فلابد فيه من محدث عنه يسند ذلك الحديث اليه وينسب اليه والا عدمت فائدة)[١١٦].

إن ذكر الاسم بعد الفعل واسناده اليه دليل اشتغال الفعل به وصيرورته حديثاً له[١١٧]، اذ يدخل الرفع الى الفاعل من هذا الباب باب الاسناد الى الفعل لأنه ادق تعبير واصدق معنى[١١٨].

إن العناصر اللغوية المكونة لصورة الأولى من الجملة الفعلية (فعل + فاعل. ذات نمط تركيب محدد يوجد على اساس من العلاقات السياقية وتظافر القرائن النحوية.

وتظهر اهمية السياق التي تكمن في انشاء علاقات بين اجزاء الكلم لان السياق لا يتألف الا من

---

١٠٥) يُنظر: البنية الداخلية للجملة الفعلية في العربية : ٤٦.
١٠٦) ظاهر التنازع في العربية (د. فيصل ابراهيم حنا) : ١٩، مجلة العربية للعلوم الانسانية مج (٨) عدد (٣٣) لسنة ١٩٨٨.
١٠٧) يُنظر مدرسة الكوفة : ٢٧٨، والفعل والنظام الفعلي : ٢٨٣.
١٠٨) يُنظر: الكامل : ٢ : ٤٤٥.
١٠٩) يُنظر: شرح المفصل : ١ : ٧٣.
١١٠) يُنظر: القرائن النحوية : ٥٢، وتحديد المعنى النحو في غيبة العلامة الاعرابية : ٢٤. (تمام حسان) معهد اللغة العربية، ع (١) لسنة ١٩٨٢-١٩٨٣.
١١١) كشف المشكل في النحو: ٢٩٤.
١١٢) يُنظر: علل الاعراب والحركات الاعرابية : ٦٦.
١١٣) يُنظر: المقصد في شرح الايضاح : ١ : ٢١٠، وعلل الاعراب والحركات الاعرابية : ٦٦.
١١٤) يُنظر: مدرسة الكوفة : ٢٧٨.
١١٥) يُنظر: علل الاعراب والحركات الاعرابية : ٦٢.
١١٦) شرح المفصل : ١ : ٧٣.
١١٧) يُنظر: شرح المفصل : ١ : ٧٣.
١١٨) يُنظر: مدرسة الكوفة : ٢٧٨، وعلل الاعراب والحركات الاعرابية : ٦٣.

وحدتين لغويتين او أكثر[١١٩] وتتكون تلك الوحدات المكونة للتركيب من ثوابت اللغة (فعل – فاعل – مفعول) لان (السياق ينقسم الى كلمات متراصة بطريقة معينة)[١٢٠] وذات مدلول وظيفي[١٢١].ولتضافر القرائن أهمية كبرى في تحديد ماهية التركيب الصحيح لهذه الصورة، لان دراسة الجملة الفعلية لا تقف عند العنصر البنائي الأول وانما تشمل التركيب النحوي كاملاً، وبواسطة القرائن اللفظية والمعنوية نقرر نوع الجملة بالإضافة الى معرفة العناصر الاساسية لتركيب من فعل وفاعل ومتعلق، ومن تلك القرائن التي تتظافر في بناء الجملة الفعلية في صورتها البسيطة.

قرنية النظام[١٢٢] والتي تنص على ان تستدعي احدى الكلمتين الكلمة الاخرى كالفعل والفاعل، بحيث لا يكون الكلام كلاماً إلا بوجود الثاني، وتأتي قرنية الرتبة في المقام الثاني والتي تمثل ما يكون له الصدارة في الجملة[١٢٣]، وهي محفوظة بين الفعل والفاعل أي ان الفعل له صدارة الجملة الفعلية.

اما الاسناد فهي القرنية المعنوية والتي بموجبها يرتفع الفاعل، وتظهر علامة بقرينة الاعراب التي تكون نتيجة الاسناد، واثر الأول في الثاني، ان ارتباط تلك القرائن تباعاً، تحدد مدلول الجملة الفعلية بالإضافة الى قرينة المطابقة، اذ يرد الفعل مفرداً اذا سبق الفاعل ويطابقه في العدد اذا تلاه[١٢٤] بالإضافة الى التطابق في الجنس (التذكير والتأنيث) والشخص (المتكلم والخطاب والغيبة)، ويكون ذلك من خلال صيغة الفعل والضمير الذي تضمنه ضمناً مع الفاعل الظاهر نحو (قامت هند) و (جاء (.) محمد) فالضمير في هذه الحالة ليست له دلالة معجمية، أي ليس له دلالة خارج الجملة بل تستخدم استخداماً وظيفياً[١٢٥] للتعبير عن مطابقة للاسم الظاهر، وهذه القرنية الاخيرة خاصة تحذف للتطابق في الجنس والشخص يمكن ان تكون اولى القرائن النحوية في هذا الموضع من البحث، لأنها تمثل القاعدة البنائية الاساسية في التركيب البسيط، وتظافر تلك القرائن انطلاقاً من الفهم العميق لبناء الجملة، يفضي بنا الى معرفة ماهية الجملة الفعلية بشكلها الاساس والبسيط.

ب. النمط شبه الميسر للجملة الفعلية

وينقسم على ثلاث صور:

الأولى (فعل(مفعول به "ضمير متصل")+فاعل)

الثانية(فاعل مقدم+فعل+مفعول به)

الثالثة(فعل+فاعل+مفعول به)

وإجمالا نجد أن هذه الجملة الفعلية شبه الميسرة قد أُسند الفعل فيها الى الفاعل (ظاهراً او مستتراً) ووقع فعلها على اسم ظاهر آخر، ويكون هذا الاسم من مكونات التركيب الاساس في البنى العميقة والسطحية. والفعل المتعدي يمثل الجزء المباشر الذي بموجبه تتحدد عناصر التركيب في الجملة والفراء سمى الفعل المتعدي بالفعل الواقع[١٢٦] وهو الذي يعبر به عن حدث لا يقتصر على

---

١١٩) يُنظر: جوانب من النظرية اللغوية العربية : ٥٦.

١٢٠) قضايا اللغة : ٨١، تمام حسان، مجلة المناهل ع (١٣) س٥، ١٩٧٨.

١٢١) يُنظر: المصدر نفسه : ٨٢.

١٢٢) يُنظر: القرائن النحوية : ٤٩، وتحديد المعنى النحوي في غيبة العلامة الاعرابية : ٢٤.

١٢٣) يُنظر: تحديد المعنى النحوي في غيبة العلامة الاعرابية : ٢٤.

١٢٤) يُنظر البنية الداخلية للجملة الفعلية : ٤٧.

١٢٥) يُنظر: جوانب من الاستخدام الوظيفي للغة : ٣٨، (ابو ادريس ابراهيم)، المجلة العربية للعلوم الانسانية مج (١٠) ع (٣٧) ١٩٩٠.

١٢٦) يُنظر: المصطلح النحوي : ١٨٠.

الفاعل بل يتجاوزه الى المفعول[١٢٧]، والجملة في هذه الحال ربما تجنح نحو التعقيد والتركيب وزيادة مبانيها، لذلك نعتناها بالجملة شبه الميسرة، وقد اشار سيبويه الى هذا المعنى بقوله (هذا باب الفاعل الذي يتعداه فعله إلى مفعول، وذلك قولك: ضرب عبد الله زيداً. تنصب (زيداً) لأنه مفعول تعدى اليه فعل الفاعل)[١٢٨].

والمفعول به التركيب الذي وقع عليه اثر الفعل[١٢٩] والذي يطلق عليه مصطلح الهدف في الدراسات الحديثة لأنه عبارة عن نتيجة النشاط المتجاوز[١٣٠] او اثر لذلك النشاط الذي قام به العامل[١٣١] والمفعول به يكون اسماً مفرداً او تعبير اسمي، وحكم المفعول به بعد الفعل والفاعل النصب، اذ يتعدى الفعل بعمله الى المفعول بعد ما عمل في الفاعل[١٣٢] ورتبته تكون بعد الفاعل لان الاصل في الجمل التي تحتوي مفعولاً به، ان يؤتي بالفعل فالفاعل فالمفعول[١٣٣]، الا ان رتبة المفعول ليست من الرتب المحفوظة، اذ تكون له ثلاث حالات:

الأولى: يجب فيها التقديم على الفعل او الفاعل وذلك اذا كان لفظه من الالفاظ التي لها صدارة الكلام مثل الاستفهام والشرط، وكذلك اذا كان ضميراً متصلاً بالفعل وظهر الفاعل[١٣٤]. اما الحالة الثانية: فيجب تأخيره ولا يجوز تقديمه وهو كل مفعول يكون فاعله استفهاماً او شرطاً او مقصوراً[١٣٥].

اما الحالة الثالثة التي يكون فيها على صورة الاصلية (فعل – فاعل – مفعول) وجواز الامرين التقديم والاخير ان امن اللبس، هذا بالنسبة الى ترتيب عناصر الجملة الفعلية. اما بالنسبة الى حذف عناصر الجملة، فثمة علاقة بين عناصر الجملة أي ان علاقة الفعل والفاعل مع المفعول به تكاد تكون علاقة تلازم، ويتضح ذلك من خلال الحذف الوارد في هذه الصورة (فعل – فاعل – مفعول) من الجملة الفعلية. بالإمكان حذف الفعل• على شريطة التفسير والذي يقع في سبعة مواضع (الاستفهام، الامر، النهي، الشرط، التخصيص، النفي، العطف)[١٣٦].

حيث نصب (يداً) يبسط وفاعله المحذوفين، حيث عملا بعد العطف على شريطة التفسير للعامل الأول (المعطوف عليه).

اما حذف الفاعل، اما ان يحذف مع عامله، ويدل عليهما دليل لفظي كما في الشاهد اعلاه و اما ان يحذف ويستغنى عنه بمذكور سابق مطابق له في كل شيء حتى في الاعراب[١٣٧]. ويكون مجاله العطف نحو قول الشاعر:

قضى كل ذي دين فوفى غريمه وعزه ممطول معنى غريمها

---

١٢٧) يُنظر: في النحو العربي قواعد وتطبيق : ١٠٣.
١٢٨) الكتاب : ١ : ٣٤، يُنظر: الاصول في النحو: ٢ : ٢٠٣، وشرح المفصل : ٧ : ٦٢.
١٢٩) يُنظر: معاني النحو: ٢ : ٥٠٦.
١٣٠) يُنظر: الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة : ٩٠، مجلة عالم الفكر مج (٢٠) ع (٣) يحيى احمد ١٩٨٩.
١٣١) المصدر نفسه : ٩١.
١٣٢) يُنظر: علل الاعراب والحركات الاعرابية : ٦٣.
١٣٣) يُنظر: معاني النحو: ٢ : ٥٠٦.
١٣٤) يُنظر: كشف المشكل في النحو: ٣٠٠.
١٣٥) يُنظر المصدر نفسه : ٣٠١.
• يحذف الفعل مع (ان) ولدلالة السياق عليه ومع (اما) ويحذف جواباً واختصاراً او ايجازاً اي مواضع الحذف الامالي الشجرية : ١ : ٣٣٠-٣٥٨.
١٣٦) يُنظر: الأمالي الشجرية : ١ : ٣٣١-٣٣٤.
١٣٧) ظاهرة التنازع في العربية : ٢٤.

عطف فيه جملة (فوفى) على الجملة السَّابقة (قضى)، ومعمول (وفى) الفاعل يفهم من البيت انه ضمير يفسره قوله: "كل ذي دين" الذي يقوم بوظيفة فاعل الفعل قضى[١٣٨]. والفاعل في عرف اللغة في تلك المواضع يكون ضميراً سواء كان بارزاً ام مستتراً، دل عليه دليل ام لا، لان قرينة التطابق في الجنس والشخص هي التي تفصح عن غيبة الفاعل وبروز الضمير، ويرى المنهج التحويلي ان (قواعد استخدام الضمير ما هي الا تحولات او تغيرات *(tran formations)* تطرأ على البنية، وعليه فان ما يتطلبه التعبير بالضمير من مطابقة يتم عادة في مرحلة ما يسمى ببنية ما تحت السطح *(s-strn cture)* وليس في مرحلة ما يسمى بالبنية العميقة *(peep strn cture)* فالبنية العميقة تكون المطابقة التامة بين تركيبات اسمية خالية من الضمائر[١٣٩]. اما حذف المفعول فيكثر في باب اعمال الفعلين كقولك: (اكرمت واكرمني زيد) اراد (اكرمت زيداً واكرمني زيد) فحذف المفعول به لدلالة فاعل الثاني عليه[١٤٠] وقد يحذف المفعول به من الكلام لفظاً لكنه مراد المعنى، وتقديراً وهو الذي يسميه النحويون (الحذف اختصاراً)[١٤١] او يحذف اقتصاراً[١٤٢] وهذا الحذف ليس من باب الحذف بل هو ان تقتصر على الحدث وصاحبه من غير ارادة المفعول وليس له تقدير ولا نية وذلك بحسب الحاجة والقصد[١٤٣].

ويرد حذف المفعول به في باب العطف ويستغنى عنه بتركيب سابق ومطابق له في الحكم والاعراب، حيث ان جملة العطف جملة مركبة من جملتين او أكثر، وعند ربط هاتين الجملتين برابط يتم الاستغناء عن العناصر المتماثلة لوجود دليل لفظي يدل عليهما.

- ثانياً: النمط الثاني: مسند إليه + مسند (الجملة الاسمية)

لا خلاف بين النحويين على إمكانية التقديم والتأخير بين عنصري الجملة الاسمية (مسند + مسند إليه)أي (خبر + مبتدأ)[١٤٤]، فضلاً عن ذلك أنه لا خلاف في كون عنصري الجملة الاسمية البسيطة أن يكونا اسمين، وقد يحل محل الاسم الأول (المسند إليه) ضمير، أما الاسم الثاني فقد يحل محله ضمير أو شبه جملة (ظرف مع مضافه أو جار ومجرور) متعلق بالاستقرار، وعلى هذا الترتيب نجد أن الجملة الاسمية الميسرة ذات الترتيب الاعتيادي تحتمل الأنماط الاتية:

[الجملة الاسمية]

(المسند اليه)		(المسند)
[(زيدٌ)]	+	[(كريمٌ)]
[(محمد)]	+	[(انا)]
[(الرجل)]	+	[(في الدار)]
[(هو)]	+	[(زيدٌ)]
[(هي)]	+	[(عندك)]
[(هو)]	+	[(في الدار)]
[(هو)]	+	[(هو)]

---

١٣٨) يُنظر ظاهرة التنازع في العربية : ٢٠.
١٣٩) ظاهرة التنازع في العربية : ١٩-٢٠.
١٤٠) يُنظر: الامالي الشجرية : ١ : ٣٢٣.
١٤١) يُنظر: معاني النحو ٢ : ٥١٤.
١٤٢) المصدر نفسه : ٢ : ٥١٥.
١٤٣) المصدر نفسه : ٢ : ٥١٦.
١٤٤ يُنظر الكتاب : ١ : ٤٨

والجملة الاسمية من حيث الترتيب أي التقديم والتأخير تحتمل الأنماط نفسها.

الانماط الاسمية كما وردت في كتاب سيبويه:

١. الأنماط ذات الترتيب الحيادي:

النمط الأول: (ا سم +ا سم)، ومن صور هذا النمط:

الصورة الأولى: [مبتدأ مضاف + خبر مفرد].

قال تعالى فَأُمُّــهُ هَاوِيَةٌ(١٤٥)

وَلَذِكْــرُ اللَّه أَكْبَرُ(١٤٦)

الصورة الثانية: [مبتدأ مفرد + خبر موصوف].

قال تعالى هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا(١٤٧)

الصورة الثالثة: [مبتدأ مفرد + خبر مضاف موصوف

قال تعالى تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ (١٤٨)

الصورة الرابعة: [مبتدأ مفرد + خبر مضاف].

قال تعالى وَأُوْلَئِكَ أصحاب النَّارِ(١٤٩)

الصورة الخامسة – [مبتدأ مفرد + عماد + خبر مفرد]

قال تعالى فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ (١٥٠)

الصورة السادسة: [مبتدأ جملة مؤول بالمفرد + خبر مفرد].

قال تعالى وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ (١٥١)

ولقد اشار سيبويه، الى طبيعة الجملة الاسمية المسيرة - [مبتدأ + خبر] - في قوله: هذا باب المسند والمسند اليه، (وهما ما لا يستغني واحد منهما عن الاخر، ولا يجد المتكلم منه بدّاً)(١٥٢) فمن ذلك الاسم المبتدأ والمبنيّ عليه وهو قولك: عبد الله أخوك، وهذا أخوك، فالمبتدأ عنده كل اسم أبتدئ لينبني عليه كلام(١٥٣)، وحالة الرفع. فالابتداء لا يكون الا بمبنيّ عليه، فالمبتدأ الأول والمعنيّ ما بعده عليه، فهو مسندُ ومسند اليه(١٥٤). وقال: (اعلم ان المبتدأ لا بد له من أيكون المبني عليه شيئاً هو او يكون في مكان او زمان، وهذه الثلاثة يذكر كل واحد منها بعدما يُبتدأ)(١٥٥) فان المبني عليه يرتفع به كما ارتفع هو بالابتداء، نحو (عبد الله منطلق) ارتفع (عبد الله) لأنه ذكر ليبنى عليه (المنطلق) وارتفاع المنطلق لان المبنيَّ على المبتدأ بمنزلته)(١٥٦).

وسيبويه يجعل بناء الاسم على اسم اخر وارتفاع الثاني بالأول كـ (عبد الله منطلق) دليلاً وامارة على بناء الفعل على الاسم ونلمس ذلك في باب ما يكون فيه الاسم مبنياً على الفعل قدّم او أخّرَ وما

---

١٤٥) القارعة / ٩

١٤٦) العنكبوت : ٤٥

١٤٧) الأحقاف : ٢٤

١٤٨) لقمان : ٢.

١٤٩) البقرة : ٢١٧.

١٥٠) الأعراف : ٨.

١٥١) البقرة : ١٨٤

١٥٢ يُنظر الكتاب : ١ : ٤٨

١٥٣ يُنظر الكتاب : ٢ : ١٢٥

١٥٤ الكتاب : ٢ : ١٢٥

١٥٥ الكتاب : ٢ : ١٢٥

١٥٦ الكتاب؛ ٢ : ١٢٥

يكون فيه الفعل مبنياً على الاسم[١٥٧].

النمط الثانـي: اسم + ضمير

أن اللغة تجيز استعمال هذا النمط هو نمط نادر وجوده في اللغة العربية الفصحى لأن المسند غالبا ما يكون وصفا، والضمير كالمصدر المؤول لا يوصف به، ومن ثم فالإخبار به ضعيف عما دونه في التعريف[١٥٨]، ومع ذلك فإن اللغة لا تمنع استعماله؛ ومن ثم ذكره سيبويه في الباب الخاص بـ (استعمالهم علامة الإضمار الذى لا يقع موقع ما يضمر في الفعل إذا لم يقع موقعه.) وساق له المثالين: (أما الخبيثُ فأنت، وأما العاقلُ فهو)[١٥٩].

النمط الثالث: اسم + ظرف

أشار سيبويه إلى هذا النمط في قوله: (واعلم أن المبتدأ لابد له من أن يكون المبنى عليه شيئا هو أو يكون في مكان أو زمان، وهذه الثلاثة يذكر كل واحد منها بعد ما يبتدأ.)[١٦٠]. وأما قولهم: دارى خلف دارك فرسخا، فانتصب لأن خلف خبر للدار، و يلتزم سيبويه مفهوم بناء الثاني على الأول وارتفاع الأول بالابتداء نحو (عبد الله منطلق) في بيان ما يجري من الظروف هذا المجرى سواء اكان التركيب حياديا ام المنحرف عنه نحو قولك: (يومُ الجُمعة ألقاك فيه) و (خطيئةُ يوم لا اصيدُ فيه)[١٦١] و كلام قد عمل بعضه في بعض واستغنى[١٦٢].

النمط الرابع: اسم + جار و مجرور

أشار سيبويه إليه في قوله: (الحمُد لله)[١٦٣]، (وكذلك قوله: ما كان فيها أحد خير منك وما كان أحدٌ مثلُك فيها، وليس أحد فيها خيرٌ منك، إذا جعلت (فيها) مستقرا)[١٦٤] اذا كان المبتدأ (نكرة) + خبر (حرف جر + اسم مجرور)

وقد تكرر هذا النمط حينما اجرى النكرة المبدوء بها مجرى ما فيه الالف واللام من المصادر والاسماء[١٦٥].

نحو: (سلامُ عليك) و (خيرَ بين يديك)

اذ يقول: (فهذه الحروف كلّها مبتدأه مبنيَّ عليها ما بعدها، والمعنى فيهن أنك ابتدأت شيئاً قد ثبت عندك، ولست في حال حديتك تعمَلُ في إثباتها وتزجيتها وفيها ذلك المعنى)[١٦٦].

النمط الخامس: ضمير + اسم

وفي موضع من الكتاب وجدنا اشارة الى هذا النمط بصورتين مختلفتين الا وهما:

(مبتدأ(ضمير) + خبر (محذوف) + حرف عطف + اسم معطوف)

(مبتدأ مضاف + خبر (محذوف +حرف عطف +اسم معطوف مضاف) -في معرض حديث سيبويه عن معنى الواو التي تحدث عنها في باب اخر - (ما يظهر فيه الفعلُ وينتصب فيه الاسم لأنه مفعول معه[١٦٧]- وهي في هذا الباب تكون عاطفة للاسم على ما قبله ولا يكون الا مرفوعاً.

---

١٥٧) الكتاب : ٢ : ١٣٣

١٥٨)المغنى ٢ : ٤٥٣ تحقيق محمد محى الدين.

١٥٩ يُنظر: الكتاب ٢ : ٣٥٢

١٦٠ يُنظر: الكتاب ٢ : ١٢٧

١٦١ الكتاب : ٢ : ١٣٧

١٦٢ يُنظر: الكتاب ١ : ٤١٧

١٦٣ الكتاب : ١ : ٣٩٣

١٦٤ يُنظر: الكتاب ١ : ٥٥

١٦٥ الكتاب : ١ : ٣٩٥

١٦٦ الكتاب : ١ : ٣٩٥

١٦٧ الكتاب : ١ : ٣٥٨

نحو: (أنت وشأنك) و (كلُّ رجلٍ وضيعتهُ)[١٦٨]، وسنشهد على ذلك بقول: جميل:

أنـت امـرؤ مـن أهـل نجـد وأهلنـا تهـام فمـا النَّجْـديُّ والمتغـورُ

يرى ان الواو هنا في معنى (مع) يعَمل فيما بعدها ما عَمِل فيما قبلها من الابتداء والمبتدأ[١٦٩]، أي: كل امرئ وضيعتهُ مقرونان.

وفي موضع اخر من الكتاب وجدنا صورة ثالثة لهذا النمط وهي على النحو الاتي: [مبتدأ مفرد(ضمير) + خبر مفرد + حرف عطف - اسم معطوف]

فانه يرى العامل في مثل هذا فيما بعد الواو هو المبتدأ[١٧٠]، نحو: (أنت أعلمُ وعبُد الله)

ويؤكد لنا سيبويه في هذه النصوص او الشواهد على دلالة الجملة الاسمية على الحال اذ يقول (فكله رفع - (انت وشأنك) و (كل مريء وضيعته) (وانت اعلم وربّك) - ولا يجوز فيه النصب، لأنك انما تريد ان تخبر بالحال التي فيها المحدَّث عنه في حال حديثك، فقلت (انت الآن كذلك) ولم ترد أن تجعل ذلك فيما مضى ولا فيما يستقبل وليس موضعاً يُستعمل فيه الفعل)[١٧١]، يبدو أن سيبويه لم يعمد أن يتحدث عن هذا النمط؛ اعتمادا على أنه يماثل النمط السَّابق، فالضمير من المعارف، يقول عن الضمير الشخصي: (وإنما صار الإضمار معرفة؛ لأنك تضمر اسما بعد ما تعلم من يحدث قد عرف من تعنى وأنك تريد شيئا يعلمه)[١٧٢]، ويصف اسم الاشارة بالاسم المبهم[١٧٣]، يقول: (وأما الأسماء المبهمة فنحو هذا وهذه وهذان وهاتان وهؤلاء وذلك وتلك. وما أشبه ذلك، وإنما صارت معرفة؛ لأنها صارت أسماء إشارة إلى الشيء دون سائر أمته)[١٧٤].

ونجده يسوق مثالا لهذا النمط أثناء حديثه عن المضاف إلى المعرفة، يقول: (وأما المضاف إلى المعرفة فنحو: هذا أخوك، ومررت بأخيك، وما أشبه ذلك)[١٧٥]، اذ تكون الاسماء المبهمة طرفاً في الاسناد.

[مبتداء (اسم مبهم) + خبر + متعلق]

نحو: (هذا عبد الله منطلقاً) و (هؤلاء قومك منطلقين) و (ذاك عبد الله ذاهباً) وقد يكون الخبر في هذا النمط مضافاً - يقول سيبويه فـ (هذا) اسمُ مبتدأ يبنى عليه ما بعده، وهو (عبدُ الله) ولم يكن ليكون هذا كلاماً حتى يُبنى عليه او ينبنى على ما قبل[١٧٦]. فالمبتدأ مسند اليه والمبنيّ عليه مسندُ، فقد عَمل هذا فيما بعده كما يعمل الجارّ والفعلُ فيما بعده[١٧٧].

ثم يبين لنا الوظيفة الدلالية لهذه الاسماء المبهمة.

فهذا في (هذا عبد الله منطلقاً) هو انك تريد ان تنبّه له منطلقاً فكأنك قلت: انظر اليه منطلقاً فـ(منطلق) حال قد صار فيها عبد الله[١٧٨]، والمبهمات: (هو، هي، هم، هما، انا، انت. حال ما بعدها

---

١٦٨ الكتاب : ١ : ٣٥٨
١٦٩ الكتاب : ١ : ٣٦٠
١٧٠ الكتاب : ١ : ٣٦٠
١٧١ الكتاب : ١ : ٣٦٥
١٧٢ يُنظر: الكتاب ٢ : ٦
١٧٣)يُنظر: الكتاب ٢ : ٥، : ٨٦ : ٨٨
١٧٤ يُنظر: الكتاب ٢ : ٥
١٧٥ يُنظر: الكتاب ٢ : ٥
١٧٦ الكتاب : ٢ : ٧٥
١٧٧ الكتاب : ٢ : ٧٥
١٧٨ الكتاب : ٢ : ٧٥

كحال ما بعد (هذا) [١٧٩]، كقول الشاعر:

انـا ابـن دارةَ معروفـاً بهـا نسـبي وهـل بـداره يـا للنـاس مـن عـار[١٨٠]

وقد ذكر الخليل: ان (هو) و (انا) علامتان للمضمر (وذلك ان رجلاً من اخوتك ومعرفتك لو اراد ان يخبرك عن نفسه او عن غيره بأمر فقال: انا عبدُ الله منطلقاً، وهو زيد منطلقاً، كان محالاً، لأنه انما اراد ان يخبرك بالانطلاق ولم يقل: (هو) ولا (انا) حتى استغنيت انت عن التسمية، وانما يضمر اذا عُلم انك قد عرفت من يعني الا ان رجلاً لو كان خلف حائط وفي موضع تجهله فيه فقلت: من أنت ؟ فقال: انا زيدُ منطلقاً في حاجتك، كان حسناً[١٨١].

ومن انماط الجملة الاسمية الميسرة التي يكون المبتدأ اسما مبهما، ما ذكره سيبويه في باب ما غُلبت فيه المعرفة النكرة وهذا ما يدخل في النمط السَّابق(ضمير+ اسم)، ومن صوره:

[مبتداء (مبهم) + خبر (نكرة) + رابط عطف + اسم معطوف (معرفة) + متعلق]

وذلك قولك: (هذان رجلان وعبد الله منطلقين ولم يقل: منطلقان وانما نصب (المنطلقين) لأنه لا سبيل الى ان يكون صفة لـ (عبد الله) ولا ان يكون صفة للاثنين، فلما كان ذلك محالاً جعله حالاً صاروا منها كأنك قلت: هذا عبدُ الله منطلقاً)[١٨٢]، وان شئت قلت: هذان رجلان وعبد الله منطلقان، لان المنطلقين في هذا الموضع من اسم الرجلين فجريا عليه[١٨٣].

وسيبويه وفي معرض حديثه عن ما يجوز فيه الرفع مما ينتصب في المعرفة، نحو (هذا عبد الله منطلق) بين لنا صورة اخرى للجلمة الاسمية وذلك من خلال الاضمار الكائن في (هذا + منطلق) كأنك قلت: (هذا عبد الله هو منطلق). او تجعلهما جميعاً - عبد الله منطلقاً - خبراً (لهذا) كقولك: (هذا خلوً حامضُ) وكقراءة ابن مسعود: (وهذا بعلي شيخُ)[١٨٤]، [هود / ٧] وكقول الراجز:

مـن يـك ذابـتٍّ فهـذا بتي مقيـــظُ مُصَـــيّفُ مشـــتَّي[١٨٥]

ويكون رفع (منطلق) على ان تجعل (عبد الله) معطوفاً على هذا كالوصف - عطف بيان - فيصر كانه قال: (عبد الله منطلق).

او تجعل (منطلقاً) بدلاً من (عبد الله)، لان اصل التركيب في ضوء هذا التقدير:(هذا عبد الله رجلٌ منطلقٌ) فأبدل (رجل) من (عبد الله) ثم حذف الموصوف واقام الصفة مقامه فقال (هذا منطلقٌ)[١٨٦].

وقد تكرر هذا النمط [مبتداء (مبهم) + بدل + خبر] في باب ما يرتفع فيه الخبر لأنه مبني على مبتدأ، او ينتصب فيه الخبر لأنه حال لمعروفٍ مبنيّ على مبتدأ، اذ نجد الصورة نفسها التي طالعنا من قبل قد تكررت الا انه هنا يجعل من العنصر الثاني صفة للأول وكأنها بمنزلة اسم واحد نحو: (هذا الرجلُ منطلق) كانه قال: (هذا منطلق)

وستشهد عليه بقول النابغة:

توهمـــتُ آيـــات لهـــا فعرفتُهـــا لستةٍ اعوام وذا العام سابعُ[١٨٧]

---

١٧٩ الكتاب : ٢ : ٧٦

١٨٠ الكتاب : ٢ : ٧٦

١٨١ الكتاب : ٢ : ٧٧

١٨٢ الكتاب : ٢ : ٧٨

١٨٣ الكتاب : ٢ : ٧٨

١٨٤ الكتاب : ٢ : ٧٩

١٨٥.يُنظر الكتاب : ٢ : ٧٩،والبيت لرؤبة بن الحجاج في ديوانه : ١٨٩،

١٨٦ الكتاب : ٢ : ٨٢

سـابعُ[187]

كانه قال: وهذا سابعُ.

اما في نصب (منطلق) قد جعل (الرجل) مبنياً على هذا) وجعل (الخبر) حالاً له قد صار فيها، فصار كقولك: هذا عبد الله منطلقاً)[188]، وهذا التحول في العلامة الاعرابية يبرره بقوله (انما يريد في هذا الموضع ان يُذكرّ المخاطَبَ قبل ذلك، وهو في الرفع لا يريد ان يُذكّره بأحد، وانما اشار فقال: (هذا منطلق) فكان ما ينتصب من اخبار المعرفة ينتصب على انه حالُ مفعول فيها، لان المبتدأ يعمل فيما بعده كعمل الفعل فيما يكون بعده)[189].

وفي باب ما ينتصب في الخبر لأنه خبر لمعروف يرتفع على الابتداء قدّمته او اخّرتهُ، نلمح سيبويه يشر الى مفهوم حسن السكون واستقامة الكلام والاستغناء عما سواه - وهو طرد الباب في مفهوم الجملة - حينما يذكر الجملة الظرفية (فيها عبد الله) ويقيسها من حيث الافادة على جملة (هذا عبد الله) و (عبد الله اخوك)[190].

النمط السادس: ضمير + ضمير

لقد صدر هذا الاستعمال عن العرب، والقرآن جاء على سمت العربية، ومن ذلك قوله تعالى:(ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم) البقرة/٨٥، وقد ذهب سيبويه بهذا الضرب من الاستعمال، وأفرد له بابا وصفه بقوله: (هذا باب استعمالهم علامة الإضمار الذى لا يقع موقع ما يضمر في الفعل إذا لم يقع موقعه)[191] ثم جاء بالأمثلة والشواهد القرآنية والشعرية[192]، مثل قوله: (أ هو هو، ها نحن أولاء، ها هو ذاك، ها أنتم أولاء، ها أنتن أولاء، ها هنّ أولئك. ومنه قوله تعالى: (كأنه هو) النمل/٤٢ و(ها أنتم هؤلاء) آل عمران/١٠٩، ومنه قول الشاعر:

فكأنّها هى بعد غِبّ كلالها أو أسْفَعُ الخدّينِ شاةُ إرانِ[193]

النمطان السابع، والثامن (ضمير + ظرف)، (ضمير + جار ومجرور)

وردا هذان النمطان في لغة العرب الا ان سيبويه لم يفرد لهما بابا خاصا، الا انه ذكر مثالهما في تضاعيف المادة اللغوية المسجلة في كتابه عن العرب، وقد ورد بعض ذلك في باب: هذا ما ينتصب من الاماكن والوقت، وباب هذا ما شبه من الاماكن المختصة بالمكان غير المختص.، قالوا:(هو خلفك)، (هو مني مزجر الكلب)(هو ناحية الدار)، (انت مني بمنزلة الولد)(انت كعبد الله)، (هو مني منزلة الشغاف)(انت في ضيافتي)، (انا في حل منك).

٢ . النمط الميسر المنحرف للجملة الاسمية:

ومن صوره:

الصورة الأولى: اسم (خبر مقدم)+ا سم(مبتدأ مؤخر)

سعى سيبويه الى بيان تلك الصورة الاسنادية المنحرفة عن الاصل الوضعي للجملة الميسرة الاسمية في باب الابتداء[194]، يقول: فالمبتدأ كل اسم ابتُدئ ليُبنَى عليه كلام، والمبتدأ والمبنىّ عليه رفع، فالابتداء لا يكون إلا بمبنى عليه فالمبتدأ الأول والمبنىّ عليه ما بعده فهو مسند ومسند إليه. وزعم الخليل أنه يستقبح أن يقول (قائم زيد)، وذاك إذا لم تجعل قائما مقدما مبنيا على المبتدأ،

---

١٨٧ الكتاب : ٢ : ٨٣

١٨٨ الكتاب : ٢ : ٨٤

١٨٩ الكتاب : ٢ : ٨٤

١٩٠ الكتاب : ٢ : ٨٥

١٩١ يُنظر: الكتاب ٢ : ٣٥٢

١٩٢ يُنظر: الكتاب ٢ : ٣٥٢ : ٣٥٤

١٩٣)يُنظر الكتاب : ٢ : ٣٥٣.

١٩٤ يُنظر: الكتاب ٢ : ١٢٦

كما تؤخر وتقدم فتقول: (ضرب زيدا عمرو)، وعمرو على (ضرب) مرتفع، وكان الحدّ أن يكون مقدما ويكون زيد مؤخرا. وكذلك هذا، الحدّ فيه أن يكون الابتداء فيه مقدما. وهذا عربي جيد. وذلك قولك: تميمي أنا، ورجل عبدالله[١٩٥]. وفى موضع آخر يصفه بأنه عربي جيد كثير، ويستشهد له بقوله تعالى: (ولم يكن له كفوا أحد)[١٩٦].

الصورة الثانية: (اسم(مشتق أو ما يقدم لغرض بلاغي)خبر مقدم)+ ضمير(مبتدأ مؤخر)

إن اللغة مثلما أجازت استعمال النمط الاعتيادي (اسم + ضمير) والنمط الاعتيادي (ضمير+ ضمير) والنمط المخالف (اسم + اسم) أجازت النمط المخالف (اسم + ضمير)، ويمثل مستوى لغويا عاليا في الفصاحة، ومنه قوله تعالى: (أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم)[١٩٧]، وإن لم يفرد سيبويه حديثا لهذا النمط في كتابه فقد أجازه، وهذا يتضح من خلال إجازته النمط المخالف (اسم + اسم) والنمط الاعتيادي (اسم + ضمير) والنمط الاعتيادي (ضمير+ ضمير) بالإضافة إلى حديثه عن الضمائر بأنها من المعارف[١٩٨]، ومن الأمثلة التي جاءت عرضا تمثل هذا النمط قوله: (.تميمي أنا.)[١٩٩]

الصورة الثالثة:(ظرف +ا سم)، والصورة الرابعة(جار و مجرور + اسم)

والخامسة(ضمير +ا سم)

نجد تلك الصور الاسنادية المتحولة في كتاب سيبويه ابتداءً في باب" ما يقع موقع الاسم المبتدأ ويسد مسده ؛ لأنه مستقر لما بعده وموضع، والذى عمل فيما بعده حتى رفعه هو الذى عمل فيه حين كان قبله ؛ ولكن كل واحد منهما لا يُستغنَى به عن صاحبه، فلما جُمعا استغنى عليهما السكوت، حتى صارا في الاستغناء كقولك: هذا عبدالله. وذلك قولك: فيها عبدالله. ومثله: ثَمّ زيد، وههنا عمرو، وأين زيد، وكيف عبدالله، وما أشبه ذلك)[٢٠٠]، وفى موضع آخر من الكتاب وجدنا سيبويه يقول: "والتقديم والتأخير (فيما يكون ظرفا أو يكون اسما في العناية والاهتمام.) والإلغاء والاستقرار عربي جيد كثير، فمن ذلك قوله تعالى: (ولم يكن له كفوا أحد)الاخلاص/٤. وأهل الجفاء من العرب يقولون: ولم يكن كفوا له أحد، كأنهم أخّروها حيث كانت غير مستقرة)[٢٠١].

الجملة الاسمية الميسرة ومقتضيات التحويل:

اذ كان عنصرا الإسناد على درجة واحدة من التعريف والإبهام، فان الامر في مثل هذا أيكون على أن المقدم هو المبتدأ إلا إذا كانت ثمة قرينة توجب التقديم والتأخير بين العنصرين؛ لأن تقديم المبتدأ هو الاصل، يقول ابن السراج: (المبتدأ ما جردته من عوامل الأسماء ومن الأفعال والحروف، وكان القصد فيه أن تجعله أولا لثان، مبتدأ به دون الفعل يكون ثانيه خبرا. والمبتدأ يبتدأ فيه بالاسم المحدث عنه قبل الحديث)[٢٠٢]، أما إذا تساوى المبتدأ والخبر في التعريف أو تفاوتا في الرتبة، فالمشهور لدى النحاة القدماء أن المبتدأ هو المقدم والخبر المؤخر إلا أن توجد قرينة، يقول الزمخشري: (وقد يقع المبتدأ والخبر معرفتين معا كقولك: زيد المنطلق، ولا يجوز تقديم الخبر هنا، بل أيهما قدمت فهو المبتدأ)[٢٠٣]، ويفصح عبد القاهر عن نوعين للتقديم في قوله: (اعلم أن تقديم الشيء على وجهين: تقديم يقال إنه على نية التأخير. وتقديم لا على نية التأخير، ولكن على أن تنقل الشيء عن حكم إلى حكم، وتجعله بابا غير بابه، وإعرابا غير إعرابه، وذلك أن تجئ إلى اسمين،

---

١٩٥ يُنظر: الكتاب ٢ : ١٢٦، ١٢٧

١٩٦ الآية ٣ من سورة الصمد. ويُنظر: الكتاب ١ : ٥٦

١٩٧ الآية ٤٦ من سورة مريم

١٩٨) الكتاب ٢ : ٥ : ٦

١٩٩ يُنظر: الكتاب ٢ : ١٢٧

٢٠٠ يُنظر: الكتاب ٢ : ١٢٨

٢٠١ يُنظر: الكتاب ١ : ٥٦

٢٠٢يُنظر: الأصول ١ : ٥٨

٢٠٣ يُنظر: المفصل ٢٦،٢٧

يحتمل كل منهما أن يكون مبتدأ ويكون الآخر خبرا له، فتقدم تارة هذا على ذاك وأخرى ذاك على هذا ومثاله ما تصنعه بزيد والمنطلق، حين تقول: زيد المنطلق وأخرى المنطلق زيد، فأنت في هذا لم تقدم المنطلق على أن يكون متروكا على حكمه الذى كان عليه مع التأخير فيكون خبر المبتدأ كما كان، بل على أن تنقله عن كونه خبرا إلى كونه مبتدأ، وكذلك لم تؤخر زيدا على أن يكون مبتدأ كما كان، بل على أن تخرجه عن كونه مبتدأ إلى كونه خبرا)[٢٠٤]، ويقول ابن يعيش: (وإذا كان الخبر معرفة كالمبتدأ لم يجز تقديم الخبر؛ لأنه مما يشكل ويلبس؛ إذ كل واحد منهما يجوز أن يكون خبرا ومخبرا عنه، فأيهما قدمت كان المبتدأ)[٢٠٥]، ويقول ابن هشام: (يجب الحكم بابتدائية المقدم من الاسمين في ثلاث مسائل: إحداها أن يكونا معرفتين تساوت رتبتهما نحو (الله ربنا) أو اختلفت نحو (زيد الفاضل، والفاضل زيد) هذا هو المشهور وقيل: يجوز تقدير كل منهما مبتدأ وخبرا مطلقا وقيل: المشتق خبر وإن تقدم نحو (القائم زيد)، والتحقيق أن المبتدأ ما كان أعرف كـ(زيد) في المثال أو كان هو المعلوم عند المخاطب كأن يقول: من القائم؟ فتقول: زيد القائم، فإن علمهما وجهل النسبة فالمقدم هو المبتدأ)[٢٠٦]، ويذكر السيوطي ستة أقوال في حكم المبتدأ في هذه الحالة يقول: إذا اجتمع معرفتان ففي المبتدأ أقوال: أحدها أنك بالخيار، فما شئت منهما اجعله مبتدأ والثاني أن الأعم هو الخبر، والثالث أنه بحسب المخاطب فإن علم منه أنه في علمه أحد الأمرين أو سأله عن أحدهما بقوله من القائم فقيل: القائم زيد، فالمجهول الخبر، والرابع أن المعلوم عند المخاطب هو المبتدأ والمجهول هو الخبر، والخامس إن اختلفت رتبتهما في التعريف فأعرفهما المبتدأ وإلا فالسَّابق والسادس أن الاسم متعين للابتداء والوصف متعين للخبر[٢٠٧]، ويرى د. أنيس أن الترتيب بين المسند والمسند إليه حين يكون كل واحد منهما معرفة لا يعدو أن يكون أمر أسلوب إذ لا يكاد المعنى يختلف بتأخير أحدهما أو تقديمه[٢٠٨] ويلحظ الباحث تقاربا بين رأى عبد القاهر ورأى د. أنيس، فكلاهما لم يشر إلى اختلاف دلالي في تقديم أحد الاسمين وتأخير الآخر، فلا فرق دلاليا بين (زيد المنطلق، والمنطلق زيد) بل هو اختلاف أسلوبي، وكلا الرأيين قريب من وجهة نظر النحاة في أن الخبر قد يكون عين المبتدأ، إذ يقول ابن السراج: (وخبر المبتدأ على قسمين: إما أن يكون هو الأول في المعنى غير ظاهر فيه ضميره، نحو عبدالله منطلق، وإما)[٢٠٩].

ومهما يكن من شيء في باب التقديم والتأخير والوجهة التي يجب أن نعتمدها في تحديد عناصر هذه الجمل، فالواجب على معرب اللغة أن يعتمد التركيب الوضعي للجملة الاسمية الميسرة وعلاقتها بالجملة الفعلية في حال تمثل أحد طرفيها واعني المسند (بالفعل) فالأفضل ألا نحكم بالتقديم والتأخير، وإنما نعتمد النمط الاعتيادي (مبتدأ + خبر) الذى يمثل النظام الأساس للجملة الاسمية، فضلا عن جعله نمطاً متحولا عن الجملة الفعلية في حال كون المسند فعلا، والتركيب تركيباً حيادياً.

---

٢٠٤ يُنظر: دلائل الإعجاز ٨٣،٨٤

٢٠٥) يُنظر: شرح المفصل ١ : ٩٩

٢٠٦) يُنظر: مغنى اللبيب ٢ : ٤٥١

٢٠٧) يُنظر: الهمع ١٠٠، ١٠١

٢٠٨) يُنظر من أسرار اللغة : ٣٠٧

٢٠٩) يُنظر الأصول : ١ : ٦٢